# قول الصحابي: (أشهد أنّك رسول الله) بلاغته ومقاماته في مشاهد الحديث النبوي

دكتورة/ ريم زيد عبد الرحمن القحيز
الأستاذ المساعد في البلاغة والنقد، قسم اللغة العربية
كلية الآداب، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

**المستخلص**

يدرس هذا البحث عبارة ترددت عند عدد من الصحابة الكرام في مقامات متنوعة، شهدوا فيها أمام رسول الله عليه الصلاة والسلام بقولهم: (أشهد أنك رسول الله)، وقد تناولت معنى العبارة ودرست بلاغتها، وفصلت القول في مقاماتها المتنوعة، وأغراض قولها في كل مقام، ثم إني خرجت بنتائج منها:

١- ارتبط النطق بعبارة الشهادة بمعجزة نبوية حركت الإيمان في نفس الصحابي، وأطلقت لسانه بالشهادة.

٢- تنوعت أحوال القائلين لعبارة الشهادة ما بين مؤمن سابق، ومسلم جديد، وهو مؤشر على عمق التأثير النبوي في المشهد الذي جمع بين الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابي.

٣- أسلوب التوكيد من الأساليب المرتبطة بسياق الحال أشد الارتباط، وسببه المتكلم والمخاطب والسياق المحيط بهما.

٤- سياق عبارة الشهادة محفوف بمقامات متنوعة: كالشوق والتعظيم والتعجب، والحب، والتصديق والإذعان والتسليم، وهي مقامات مختلفة في المدلول والغرض، متفقة العبارة.

وفي الختام أوصي الباحثين بتتبع التراكيب والعبارات التي جرت على ألسنة الصحابة بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم، والتي يجمعها لفظ واحد وتختلف سياقاتها، ودراستها والبحث في بلاغتها، لما فيها من معان بديعة.

الكلمات الدالة: البلاغة، المقام، الشهادة، البيان النبوي.

**Messenger of Allah**

**Abstract:**

This research examined a phrase that was repeated by a number of Prophet's companions in various occasions, in which they witnessed in the presence of the Messenger of Allah (may Allah's peace and blessings be upon him) saying: (I bear witness that you are the Messenger of Allah). The research aimed at discussing the connotation and the rhetoric of this phrase. Moreover, it shed light on the various occasions in which this phrase was said and the purpose of saying it in each occasion of them. The research reached a number of results, including:

١. In some occasions uttering the Shahada phrase was associated with a prophetic miracle that strengthened the Companion's faith and, thus, he stressed his belief with this phrase.
٢. The occasions of saying the Shahada phrase (i.e. I bear witness that you are the Messenger of Allah) were various; in some occasions it was said by A-long-time Muslim, in some other it was said by a new Muslim, which is an indication the Prophet's influence on both types Companions.
٣. Affirmation of belief is one of the purposes for which the Shahada phrase was said in some of these occasions. However, the speaker, the person/s addressed, and the context should be taken into account.
٤. The contexts in which the Shahada phrase was said are various and it said for numerous purposes, such as: longing, glorification, astonishment, love, and attestation, obedience and submission. The Shahada phrase gave different connotations in different situations, depending on the context and the purpose of saying it, despite the fact that it is the same phrase.

In conclusion, the researchers recommended conducting further research of the phrases and the collocations that were used by the Companions in the presence of the Prophet (Peace be upon him), which can be formed of the same words but said in different contexts. Finally, the study recommended examining these phrases in terms of rhetoric, connotation, as well as eloquent meanings.

**Keywords**: rhetoric, occasion, Shahada, prophetic eloquence

**مقدمة:**

مرت في السيرة النبوية مشاهد عظيمة جعلت عددا من الصحابة الكرام ينطق بلفظ الشهادة بالرسالة أمام رسول الله عليه الصلاة والسلام في مشهد يمثل نقطة التحول لذلك الصحابي من الكفر إلى الإيمان، وفي مشاهد أخرى كانت تلك الشهادة برهان التصديق واليقين من الصحابي الذي تمكن الإيمان في قلبه في ذلك المشهد ليزداد إيمانا مع إيمانه.

وهذا البحث يدرس صيغة من صيغ الشهادة بالرسالة وهي: (أشهد أنك رسول الله) التي نطق بها بعض الصحابة رضي الله عنهم في مشاهد متفرقة، ويقف على بلاغتها ودلالاتها في سياق الحديث النبوي.

**أسباب اختيار الموضوع:**

- الشهادة بالرسالة عبارة عظيمة في مبناها ومعناها، فهي تمثل جزءا من شهادة التوحيد التي تتضمن إعلان الوحدانية لله تعالى والشهادة لنبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة.
- عبارة الشهادة بالرسالة تتضمن دلالات معنوية جديرة بالتأمل والتحليل البلاغي.
- تردد الشهادة بالرسالة على ألسنة الصحابة الكرام في أحوال متنوعة في السلم والحرب والإيمان والكفر يلفت الباحث لتتبع ورودها والبحث في سياقها وبلاغتها.

**أهداف البحث:**

- التأمل في نص بياني تتحد ألفاظه، وتختلف سياقاته وأغراضه.
- الدراسة للعبارة الواحدة المتكررة في أحاديث متعددة هي طريقة تتيح التأمل العميق للعبارة المشتركة، وهذا اللون يسهم في النظر إلى زوايا جديدة في البيان النبوي.
- خدمة البيان النبوي وما يتضمنه من عبارات للصحابة رضي الله عنهم، ودراستها بلاغيا.
- استنباط معان بلاغية من خلال دراسة الجملة الواحدة المكررة في سياقات بيانية متنوعة.

**الدراسات السابقة للموضوع:**

إن من بواعث دراستي لهذا الموضوع تأملات عميقة للدكتور محمد الطريف مبثوثة عبر منصة صوتية (بود كاست شرفة) تحدث فيها عن موضوع تثوير السيرة النبوية وذكر أساليب دراسة السيرة وقسمها قسمين:

- الأسلوب الاستقرائي الأفقي.
- الأسلوب الاستنباطي الرأسي.

وكان من أمثلته لطريقة الدراسة الاستقرائية الأفقية قول (أشهد أنك رسول الله) وهي عبارة ترددت على ألسنة بعض الصحابة الكرام رضي الله عنهم في مواقف متنوعة، وقد عرض لتأملات حول تلك المشاهد النبوية، ثم تسلل إلى فكرة التأمل في اللقاء الأول بين الصحابي والرسول عليه الصلاة والسلام، وقد عرض ذلك عرضا شيقا متينا، فوقع في نفسي دراسة قول الصحابي لعبارة الشهادة بالرسالة دراسة بلاغية تبرز معانيها وقوة وأثرها في الخطاب والسياق الذي اكتنفها مبرزة المعاني السياقية فيها، مبينة أثرها البياني.

**الخطة والمنهج:**

جاء البحث في مقدمة توضح فكرة الموضوع وأسباب اختياره وأهدافه ثم التمهيد في بيان معنى الشهادة بالرسالة ومواضع قولها ومن قالها من الصحابة، ويليه مبحثان:

المبحث الأول: بلاغة عبارة (أشهد أنك رسول الله).

المبحث الثاني: الدلالات السياقية لعبارة (أشهد أنك رسول الله).

ثم الخاتمة وفيها أبرز النتائج والتوصيات، وختمت البحث بفهرس للمصادر والمراجع.

أما منهج الدراسة فاتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي، فتتبعت مواطن ورود العبارة محل الدراسة في كتب الحديث، وجمعت نصوصها، وأثبت في البحث ما حكم عليه أهل الحديث بالصحة أو الحسن، واستبعدت ما سوى ذلك وإن كان مشتهرا بين الناس كقصة إسلام عمر رضي الله عنه حيث وردت فيها عبارة الشهادة بالرسالة؛ غير أنه محكوم على أسانيد تلك القصة بالضعف؛ ولذا اكتفيت بإثبات ما كان صحيحا أو حسنا بوجه من الوجوه.

هذا وأسأل الله التوفيق والتسديد، وأن يجعل ما قدمت عملا صالحا صوابا مقبولا عنده.

**التمهيد:**

ترددت عبارة (أشهد أنك رسول الله) في مواقف متفرقة من بعض الصحابة، تنتظم تلك المشاهد على اختلاف زمانها ومكانها وقائليها في كونها تمثل لقاء عظيما بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين أحد الصحابة، يرتكز على معجزة مشاهدة محسوسة، أو مسموعة يخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم، عندها تنطلق من الصحابي عبارة الشهادة لتعبر عن دهشة اللقاء، وإعلان التصديق، وهو إما مولد جديد لبذرة الإيمان في قلب ذاك الصحابي إن كان مشركا قبلُ، أو اتساع دائرة النور في صدره إن كان مؤمنا قبلُ. ولم تكن تلك المشاهد تسير على نحو واحد، فقد اختلفت مقاماتها وتنوعت أحوال المتكلمين بها؛ ولذا كانت جديرة ببحث تفاصيلها، ابتداء بالمعنى اللغوي والاصطلاحي لتلك الشهادة العظيمة، وانتهاء بمعرفة دلالاتها وأغراضها السياقية.

**أولا: مفهوم الشهادة:**

ابتدأت الجملة بالفعل المضارع (أشهد)، وأصله اللغوي من (شهد) يدل على حُضُورٍ وَعِلْمٍ وَإِعْلَامٍ[١]، ومنه: الشّهَادَةُ وهي الخبر القاطع، تقول: شَهِدَ الرجلُ عَلَى كَذَا، ومنه: أَشْهَدُ بِكَذَا أَي أَحْلِف، وذلك لأن المحلوف عليه خبر محقق صادق[٢].

ومن معاني الشّهادة: بَيَان الْحق، سَوَاء كَانَ عَلَى الشاهد نفسه أَو على غَيره، وقيل: هي إِقْرَار مَقترن بالْعلم والْيَقِين[٣]، وقد يعبر بالشهادة تلبيسا على الناس ويدعي العلم واليقين من ليس كذلك، كحال المنافقين الذين شهدوا شهادة كاذبة في بداية سورة المنافقون، فأكذبهم الله تعالى في قوله:(نشْهد إِنّك لرَسُول الله) [المنافقون: ١ ] وشهادتهم تلك بلا يقين منهم؛ لأن الله أكذبهم وسماهم بالمنافقين؛ فهم قد قالوا شهادة إنما هي باللسان لا بالقلب، فقد أبانوا خلاف ما أظهروا[٤].

**مفهوم الشهادة بالرسالة:**

الشهادة بالرسالة المحمدية هي شهادة مقررة في الشريعة في كثير من الشعائر كالتشهد في الصلاة وفي الخطبة وفي الأذان والإقامة وغيرها، كما أنها مقترنة بشهادة التوحيد في كثير من الشعائر، ولذا فهي تدل على الإيمان وليست مجرد ذكر من الأذكار كما هو الحال في قول: (لا إله إلا الله)[٥].

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس: (٢٢١/٣).
(٢) ينظر: لسان العرب: (٢٣٩/٣).
(٣) ينظر: الكليات للكفوي: (٥٢٧).
(٤) ينظر: تفسير الطبري: (٣٩٠/٢٣).
(٥) ينظر: فيض الباري على صحيح البخاري: (١٧٨/١).

وعبارة الشهادة محل الدراسة هنا اقتصرت على الشهادة بالرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم دون الشهادة بالتوحيد؛ ويرد هنا إشكال في هل تجزئ الشهادة بالرسالة عن الشهادة بالتوحيد؟ بمعنى إذا شهد المتكلم لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة، فهل يقال عنه إنه دخل في الإسلام؟ أم يلزمه الإتيان بشهادة التوحيد أولا أو يأتي بالشهادتين معا؟

المسألة محل خلاف بين العلماء، إذ أورد ابن حجر إشكالا في الاقتصار على إحدى الشهادتين دون الأخرى وأجاب عن ذلك بقوله: "وَالِاقْتِصَارُ عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَى إِرَادَةِ الشَّهَادَتَيْنِ مَعًا؛ لِكَوْنِهَا صَارَتْ عَلَمًا عَلَى ذَلِكَ"(١)، وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "صارت شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ركناً واحداً؛ لأن كل عبادة لا بد فيها من إخلاص ومتابعة"(٢).

والإخلاص يتحقق بالوحدانية لله تعالى، والمتابعة بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومتابعته والاقتداء به.

وقال الشيخ ابن جبرين رحمه الله :"الشهادتان متلازمتان من شهد بإحداهما لزمته الأخرى، بل هي مكملة لها؛ لأنا نقول: من أين عرفت أنه لا إله إلا الله، وعرفت بأن الله هو الإله الحق، وأنه لا تصلح الألوهية إلا له؟! أليس ذلك بواسطة الرسالة؟! إذاً: فيلزمك تصديق الرسول، والشهادة له بأنه مرسل من ربه.

وإذا صدقت الرسول عليه السلام في أنه رسول، وأنه مبعوث من ربه، فما هي الرسالة التي بلغها؟ أليس أول شيء بدأ به هو التوحيد بأن يقال: لا إله إلا الله؟ فالرسول عليه الصلاة والسلام بدأ يدعو الناس إلى عبادة الله وترك عبادة ما سواه، وهذا هو أعظم الرسالة التي بلغها، فالشهادتان متلازمتان، فمن شهد أن لا إله إلا الله ألزم بأن يأتي بالشهادة الثانية وهي الشهادة بالرسالة، ومن شهد أن محمداً رسول الله لزمه قبول رسالته التي أهمها قول لا إله إلا الله، فعرفنا بذلك أنهما متلازمتان"(٣).

وسيمر معنا في المشاهد النبوية التي خاطب فيها الصحابة الكرام الرسول صلى الله عليه وسلم معلنين شهادتهم بالرسالة له، أن ذلك المشهد هو بداية التحول من الكفر إلى الإسلام، ووقع النور في القلب.

(١) فتح الباري: (١٣٣/١)

(٢) لقاء الباب المفتوح: (١٩٧/٢).

(٣) شرح الطحاوية: (٤٥/١٢).

**المبحث الأول: بلاغة عبارة الشهادة لفظا وتركيبا:**

مر معنا الحديث عن مفهوم الشهادة، وفي هذا المبحث سأقف على بلاغة ألفاظ عبارة الشهادة بالرسالة، وذلك من خلال أربعة أساليب بلاغية هي:

- وفاء اللفظ بالمعنى.
- أسلوب التوكيد.
- أسلوب الخطاب.
- أسلوب الإضافة.

**أولا: وفاء اللفظ بالمعنى:**

لم تكن عبارة الشهادة بالرسالة عبارة عادية ولا عابرة في السيرة النبوية ولا في الشريعة الإسلامية، فهي مقترنة بأول أركان الإسلام الشهادة بالوحدانية، وقد بينا ارتباط كل منهما بالأخرى ودلالتها عليها دلالة تلازم وتضمن، وبقي أن نجيب عن السبب الذي جعل عددا من الصحابة يجمعون على إعلان الشهادة بالرسالة: (أشهد أنك رسول الله) عند دهشة التصديق، أو وقع الإسلام في قلوبهم!

وسأقف عند لفظين هما: لفظ الشهادة ولفظ الرسالة، محاولة تلمس ما يميزهما عن غيرها من ألفاظ مرادفة مبينة بلاغة التعبير بهما.

**لفظ (أشهد) وعلاقته بالتصديق:**

مر معنا أن لفظ أشهد يدل عَلَى الْحُكْمِ، وَالْإِعْلَامِ، وَالْبَيَانِ؛ فالشهادة على هذا حكم على شيء مع الإعلام به وبيانه على جهة الإخبار عن النفس أو الغير.

ومن دواعي التعبير بلفظ الشهادة دون غيره في سياق المشاهد النبوية محل الدراسة، ما تضمنه من معان يمكن إجمالها فيما يلي:

أولا: ما تضمنه معنى الشهادة في دلالته اللغوية والاصطلاحية من معنى المشاهدة والحضور والاطلاع على الشيء بالمعاينة، ولذا كان لفظ (أشهد) دالا في لفظه ومعناه على المشاهدة المبنية على العلم اليقيني، وفي المعنى الاصطلاحي يعني القول الصادر عن علم بمشاهدة بصيرة أو بصر[1]، ولذا فالشهادة تقتضي تواطؤ الظاهر والباطن. ولذا فالشهادة تأتي على معنيين:

الأول:أن تكون بمعنى العلم اليقيني بالشيء، فينص على لفظ:أشهد بكذا؛ للدلالة على المعنى.

(١) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني: (٤٦٥).

والثاني: بمعنى الحلف، فيقول: أشهد بالله على كذا..، فيكون إخبارا مؤكدا بالقسم، ومن العلماء من يرى أن (أشهد) متضمنة معنى القسم حتى مع إضمار الباء[١]، وهذا جائز قياسيا إذا أمن اللبس بعد أنْ وأنّ[٢].

ثانيًا: الاعتبار الشرعي للفظ الشهادة، فقد جاءت به نصوص القرآن والسنة لبيان أمر عظيم وتأكيده، ومن ذلك قوله تعالى:(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [آل عمران:١٨].

وفي السنة حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في بيان أركان الإسلام الخمسة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ)[٣].

ثالثًا: الصيغة المضارعة للفعل (أشهد) تدل على الحال، فهي تعبر عن إقرار المتكلم بشيء حاضر الآن، وهو أوفق في تحري الصدق.

رابعًا: أن من معاني لفظ (أشهد) الحلف[٤]، كما مر سابقا فقد استعمل في القسم نحو أشهد بالله بمعنى: أقسم أو أحلف، وهنا يطرأ سؤال:

إذا كان أشهد بمعنى أحلف فلماذا لم يعبر بالحلف صراحة، خاصة أن الحلف مرتبط بالتعظيم والمهابة التي يقتضيها مقام الإثبات، ولعل الجواب عن هذا يظهر في أن كلا من الشهادة والحلف إثبات لأمر على جهة الجزم والتحقق، غير أن استخدام الشهادة في سياق إعلان الإيمان والانقياد بالاستسلام أولى وأوفق لأصل الشرع[٥] الذي نص على أن الشهادة ركن من أركان الإسلام كما هو ثابت في حديث ابن عمر رضي الله عنه المشهور "بني الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله..."

وبهذا يتبين أن لفظ أشهد أبلغ من غيره في سياق الإعلان عن الإيمان نحو أحلف، أو أصدق، أو أُقر لتضمنه معاني الإخبار والإعلان عن حال مشاهدة مع الإقسام على ذلك، فكأن المتكلم بالشهادة الناطق بها يخبر معلنا ما في نفسه وبما يشهده الآن من صدق الرسالة المحمدية ويقسم على ذلك، فهي كلمة عظيمة بليغة تتضمن معان متآزرة.

(١) السابق: (٤٦٦).

(٢) ينظر: تعدي الفعل ولزومه في صحيح البخاري دراسة وصفية تحليلية لعوني إدريس أبو لحية: (١٢٠).

(٣) رواه البخاري (٦٩٥٦)، ومسلم (١١).

(٤) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: (١٤٥/١٤)، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: (٣٤١/٢٩).

(٥) ينظر: كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير(شهد): (٣٢٤/١).

**النبوة والرسالة:**

نصت عبارة الشهادة على تعيين لفظ (الرسالة) دون النبوة، مع أنهما لفظان يتكرران معا، فما الفرق بين النبي والرسول في هذا الموضع، ولماذا جاءت جميع العبارات المرصودة في المشاهد بلفظ الرسالة دون النبوة؟

النَّبي: مَن أنبَأَ عن الله تعالى، وهو مشتَق مِنَ النَّبَأ: وهو الخَبَر ذو الفائدة العظيمة، وقد يكون اشتقاقه مِنَ النَّبْوة، وهي الارتفاعُ عن الأرض؛ لارتفاعِ قَدْرِ النَّبيِّ وأنه أشرَفُ الخلقِ، أما الرَّسولُ فهو المُرْسَل الذي بُعِثَ برسالة يُؤَديها، فهو فعول بمعنى مفعول، ومن معاني رسول: الذي يتابع أخبارَ الذي بعَثَه؛ أخذًا من قَولِهم: جاءت الإبلُ أرسالًا، أي: مُتتابِعةً، وأصل (رسل): يدل على الانبعاث[1].

وبين الرسول والنبي فرق في المعنى الاصطلاحي، وهو مشهور عند أهل العلم، وخلاصة القول في الفرق بينهما يكمن في اتباع الشريعة السابقة، فالنبي يكون متابعا لشريعة من قبله، أما الرسول فقد يكون متابعا لشريعة سابقة كيوسف فإنه جاء قومه بما بعث به إبراهيم ويعقوب عليهم الصلاة والسلام، وقد يبعث الرسول بشريعة جديدة كما بعث محمد صلى الله عليه وسلم[2]، وعليه فإن الرسول أخص من النبي لأن كل رسول نبي، وليس العكس[3].

وأيا ما يكن الفرق بين الرسول والنبي فإن العبرة في هذه الدراسة بالنظر للتعبير بلفظ (رسول) دون أي وصف آخر كالوصف بالصدق فيقال: أشهد أنك صادق، أو أشهد بنبوتك، أو أشهد بأن ما جئت به الحق، وهذا ما سأحاول بيانه من خلال التأملات الآتية:

- ارتباط شهادة الصحابي بمشهد معجز، جعله يسلم بأن الأمر لا يمكن أن يصدر عن بشر عادي، بل عن رسول مؤيد بالوحي، وهذا صريح في مشهد الراعي الذي شاهد معجزة ادرار اللبن من الشاة على يد النبي صلى الله عليه وسلم، فعبر عن دهشته بقوله: (بالله ما رأيتُ مثلَكَ منْ أنتَ؟) ثم قال: (فإنِّي أشهدُ أنكَ رسولُ اللهِ، وأنه لا يقدرُ على ما فعلْتَ إلَّا رسولٌ!).
- معنى الرسول في اللغة من رَسَلَ وهو التتابع، واللفظ يتضمن معنى الامتداد للرسالات السابقة، فالشهادة بالرسالة فيها استحضار معنى من سبقه من المرسلين،

(١) ينظر: مقاييس اللغة: (نبو): (٥/ ٣٨٤)، و(رسل): (٢/٣٩٢) وينظر: لسان العرب: (١٤/٣٠).
(٢) ينظر: الفروق اللغوية للعسكري: (٥٣١).
(٣) ينظر: النبوات لابن تيمية: (٢/٧١٤) وإتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ: (٧٩).

فهو على طريقهم ومنهجهم، وبهذا تنتفي عنه تهمة الافتراء والكذب التي ينسبها المعاندون له؛ لتضمن الإقرار بالرسالة معنى التسليم بالصدق والتأييد بالوحي.

- أن مرتبة الرسالة درجة عالية خاصة متضمنة لما دونها من النبوة، وفي الشهادة بالرسالة نص على ذلك المقام الرفيع والمرتبة العلية.
- كما أن التأمل في سياق ألفاظ بعض المشاهد، أجدها جمعت بين لفظي النبي والرسول في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يذكر بحديث البراء بن عازب رضي الله عنه الذي فيه: قال: (فلما بلغت: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، قلت: ورسولك، قال: لا، ونبيك الذي أرسلت)[١] قال ابن الأثير معلقا: (إنما رد عليه ليختلف اللفظان، ويجمع له الثناء بين معنى النبوة والرسالة، ويكون تعديدا للنعمة في الحالين، وتعظيما للمنة على الوجهين. والرسول أخص من النبي، لأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا)[٢].

**أسلوب التوكيد:**

لم تكن دلالة التوكيد في جملة (أشهد أنك رسول الله) بأداة التوكيد (أنّ) وحدها، ولا حتى من دلالة القسم التي يوحي بها لفظ (أشهد)، ولكنه تركيب متكامل في سياق معجزة مدهشة، جعلت من الصحابي الذي عاش ذلك الموقف المهيب في مواجهة الرسول صلى الله عليه وسلم ينطق بالشهادة منطلقا بتصديق، ولذا فالتوكيد الذي حملته العبارة لم يكن إلا إعلان التصديق وبرهان الاستسلام.

**عناصر التوكيد:**

يعرف العلماء التوكيد بأنه "تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره"[٣]، وقد اجتمعت في عبارة الشهادة عدة مؤكدات سميتها بعناصر التوكيد؛ لأن بعضها لا يظهر أثره في وثوق المعنى وتقويته إلا بانضمامه لغيره أو في سياقه الذي ورد فيه، ويمكن تفصيلها على النحو التالي:

- سياق الدهشة: ذلك السياق الذي يخبر عن وثوق القول المنطلق من المتكلم، ومع أن هذا لا يصنف عند البلاغيين ولا النحويين من أساليب التوكيد؛ إلا أن التوكيد أوسع من أن تعبر عنه ألفاظ مفردة بل يتجاوزها إلى جمل وتراكيب وأغراض ومعان؛ فهو أسلوب العرب الذين يؤكدون كل معنى يرون الحاجة لتقريره وتوكيده، فقد

(١) البخاري: (٢٤٧).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: (٤/٥).
(٣) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش: (٤٠/٣)، وشرح الكافية في النحو للرضي: (٢٢٨/١).

يؤكدون لفظة بعينها، وقد يؤكدون مضمون الحكم أو مضمون اللفظة أو غير ذلك[1].

ويمكن تلمس الدهشة في تلك المشاهد العظيمة على اختلاف سياقاتها التي سنفصل الحديث عنها في المبحث الثاني، غير أن ما أود التنبيه عليه هنا، أن السياقات جميعا اقترنت في كل المشاهد بمعجزة نبوية محسوسة أو مشاهدة أو مسموعة، أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بها الصحابي في ذلك المشهد على نحو من المفاجأة التي لم يملك نحوها إلا النطق بالشهادة، وإعلان الإيمان، والتسليم بالرسالة المحمدية.

- التعبير بلفظ الإعلان والإخبار المتيقن (أشهد): سبق البيان لمعنى الشهادة ودلالتها وما تتضمنه من معنى الحلف والتوكيد، وما توحيه من توافق المعنى ظاهرا وباطنا، وتلك المعاني تزيد من هيبة العبارة وترشح لوثوق مقولها وتثبيته.
- التعبير بدلالة الحال المضارعة التي تنقل أثر المعجزة في نفس المخاطب بها، وأنه تحول على إثر تلك المعجزة من حال التكذيب إلى التصديق، أو من التردد والشك إلى اليقين أو من التصديق إلى درجة الصديقية، أو من الخوف إلى الاطمئنان بالإيمان، تلك بعض الأحوال التي كان عليها من نطق بـــ(أشهد أنك رسول الله)، ودل لفظ المضارع على الحال الجديدة الحاضرة لتلك البواطن وما آلت إليه، وهذا يضاف إلى معنى الشهادة تثبيتا وتوثيقا.
- التعبير بأداة التوكيد (أنَّ) وهي أم أدوات التوكيد لكثرة وروده ولأنها بمنزلة تكرار الجملة مرتين كما نص على ذلك أهل العربية[2]، ولا يخفى ما فيها من بلاغة الإيجاز مع دلالة التوكيد لمضمون جملتها، كما أنها تنبئ عن جملة اسمية قادمة تنضم لعناصر التوكيد لتقوية العبارة في نفس المتكلم والمخاطب على حد سواء.
- التعبير بجملة اسمية وهي أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وذلك لأن العبارة انطلقت بعد أن قرعت معجزته القلوب قبل الأسماع والأبصار، فأذعنت واستسلمت بالشهادة له بالصدق الموثوق المؤكد.

والجملة الاسمية تدل على الثبوت والاستقرار، وهو معنى ينضم إلى التجدد الذي جاء به الفعل (أشهد)، فهي شهادة متجددة للرسالة السماوية التي لا تنبغي لأحد سوى رسول الله عليه الصلاة والسلام.

(١) ينظر: معاني النحو د. فاضل السامرائي: (١٣١/٤).
(٢) ينظر: شرح المفصل: (٥٢٦/٤).

وعند استعراض عناصر التوكيد يجدر البيان لدافع إحكام وثاق هذه الجملة العظيمة من الصحابة الذين نطقوا بها في مشاهد متنوعة، وحالات مختلفة من اليقين والشك والكفر والإسلام، فما الذي أغراهم بإرسال عبارة الشهادة مؤكدة بكل تلك المؤكدات؟

يترجح عندي أن توكيد تلك العبارة ينظر فيه إلى حال خاص بالمتكلم، أو معنى يلتمسه المتكلم من المخاطب الذي كان في كل تلك المشاهد هو رسول الله عليه الصلاة والسلام، وذلك بحسب السياق وما يترتب عليه من قصد، وما يدل عليه من معنى، فأما الحال الخاص بالمتكلم فهو اهتمامه بالمعنى الذي أراد أن ينقله لسامعه كما يجده في نفسه من تعظيم وتفخيم، أو هو إظهاره لمعتقد في نفسه أراد أن يفصح عنه في ذلك الموقف(١)؛ لأنها قد بلغت من الإيمان ما يصعد بها إلى مراقي الكمال كما حصل من الصديق بعد سماعه لحادثة الإسراء والمعراج، أوما حصل من عبد الله بن سلام لما أجابه النبي صلى الله عليه وسلم عن أسئلة هي في سابق علمه لا يعرف جوابها إلا نبي! ولذا انطلقت منهما الشهادة بقول: (أشهد أنك رسول الله) لتبرز معتقدهما الإيماني الذي ازداد رسوخا بعد ذاك المشهد.

وأما المعنى التوكيدي الذي يلتمسه المتكلم من المخاطب، فرغبة المتكلم في تقوية مضمون الكلام عند المخاطب إظهارا لصدقه واستسلامه، وإيذانا بتغير حاله، كما حصل من عمير بن وهب الجمحي الذي قدم على رسول الله يريد اغتياله فانقلب مسلما بعد دهشة ما سمعه مما أوحى الله لنبيه، وما كان من أبي سفيان لما كشف له النبي صلى الله عليه وسلم ما أسر به لهند رضي الله عنهما.

والخلاصة التي أختم بها أن أسلوب التوكيد من الأساليب المرتبطة بسياق الحال أشد الارتباط، (فالتوكيد وجودا وعدما سببه المتكلم والمخاطب والسياق المحيط بهما، وهذا ما يقوله المنطق والعقل، وما تقوله دراسات علمائنا السابقين القدامى عن التوكيد)(٢).

**أسلوب الخطاب:**

يتبادر إلى الذهن أن الشهادة المعتبرة التي تكررت في الشعائر الإسلامية جاءت بالتصريح بالاسم (محمد) في تركيب الشهادة (أشهد أن محمدا رسول الله) وجاء معنا في المشاهد محل الدراسة التعبير عنه بكاف الخطاب (أشهد أنك) وقد بدت لي فائدتان في إبراز الضمير ومناسبته لسياق المشهد هنا:

(١) ينظر: خصائص التراكيب د. محمد أبو موسى: (٦٠، ٦٢).

(٢) قرينة السياق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سيبويه: للباحث إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة: (٢٣٨).

الأولى: أن الخطاب جاء في مشهد حضوري، فالرسول كان حاضرا في جميع تلك المشاهد التي خوطب فيها بالكاف، وهذا الأوفق لسياق الكلام أن يجيء على طبيعة تركيبه العربي بالخطاب لا بالاسم الظاهر.

الثانية: أن في الخطاب معنى الخصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم، وكأن الشهادة بالرسالة منبثقة من ذلك المشهد نفسه وليدة لحظتها، لتعلن أن الرسالة استحقاق خاص بك؛ لأن الكلام الذي أسمعهم النبي على تنوعه في تلك المشاهد، لا يكون إلا من رسول يوحى إليه؛ ولذا فالتعبير بـــكاف الخطاب (أنك) يشعر بخصوصية الخطاب.

**أسلوب الإضافة:**

وذلك بالتشريف والرفعة والتعظيم لرسول الله عليه الصلاة والسلام في إضافة صفة الرسالة لله تعالى (رسول الله)، وهذا المعنى معروف عند البلاغيين[1]، ويمكن أن نلمح معنى آخر أفادته سياقات المشاهد وهو معنى التأييد والنصرة لرسول الله عليه الصلاة والسلام، فالمواقف التي جاءت بها عبارة الشهادة بالرسالة كانت إما زيادة إيمان من الصحابي، أو أن ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم وحي لا يمكن أن يتنبأ به بشر عادي، بل هو رسول مؤيد بالوحي من السماء، ولذا جاءت الإضافة للفظ الجلالة (الله) لتذكر بالتأييد والنصرة للنبي الكريم.

**المبحث الثاني: دلالة المقام لـــعبارة: (أشهد أنك رسول الله) في المشاهد النبوية:**

لم يكن إطلاق لفظ الشهادة إعلانا للإسلام فحسب، بل كان ثمة مشاعر إيمانية واعتبارات سياقية تكشف أجواء ذلك القول ودوافعه وتجلياته فكان محفوفا بالشوق تارة وبالتعظيم والتعجب تارة وحينا كان الإسلام حبا وتصديقا وحينا كان إذعانا وتسليما للمعجزة العظيمة التي أدهشت المخاطب.

ولقد ترددت عبارة (أشهد أنك رسول الله) من الصحابة الكرام في سياق مشاهد متنوعة في الحديث النبوي، أحصيت منها اثنين وعشرين موضعا، منها مواضع مكررة الأحداث جاءت بروايات مختلفة مع اتفاق أصل المشهد الذي قيلت فيه، وباستبعاد المكرر منها والضعيف بلغت الأحاديث المدروسة ثمانية أحاديث، وقد رصدت تنوعها من عدة جوانب منها:

- تنوع حال القائلين بعبارة الشهادة ما بين مؤمن سابق ومسلم جديد، ولم أجد من قالها مؤمنا إلا في مشهدين: الأول لأبي بكر في حادثة الإسراء، والثاني أكثم بن أبي

(١) ينظر: الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن عريشاه: (٣٢٩/١)، والنظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، لحسن الجناجي: (٢٦٦).

الجون الخزاعي الذي تتبع الرجل الجريء في الغزو الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم إنه من أهل النار، أما بقية المشاهد فقد قال عبارة الشهادة بالرسالة من لم يكن مسلما قبلُ، ثم أسلم بعد ذاك المشهد.

- تنوع الزمان الذي قيلت فيه العبارة قبل الهجرة وبعدها، أو تنوع المكان بين مكة والمدينة، فالمشاهد التي قيلت قبل الهجرة في مكة، مثل: حادثة الإسراء والمعراج وموقف أبي بكر منها، وحادثة إدرار الحليب من الشاة في طريق الهجرة، أما بعد الهجرة أي في المدينة فكل المشاهد المتبقية، مثل قصة إسلام سلمان الفارسي، ومشهد العذق المعجز وموقف الأعرابي منه، وأكثم الخزاعي الذي تتبع الرجل الجريء في الغزو، وموقف عمير بن وهب الجمحي مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وموقف عبد الله بن سلام وإسلامه، ومشهد أسر العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم بعد بدر وفدائه لنفسه، كل تلك مشاهد حصلت في العهد المدني.
- يلحق بهذه العبارة عبارة متوافقة معها بزيادة يسيرة هي: (أشهد أنك عبد الله ورسوله) وقد قيلت في موضع واحد في مكة بعد الفتح، من أبي سفيان رضي الله عنه.

وقد قسمت تلك المشاهد باعتبار مقام الحال بين الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابي، فجاءت على ما يلي:

أولا: مقام الملاحظة والتثبت بالأسئلة من الصحابي.

ثانيا: مقام المعجزة المشاهدة المحسوسة.

ثالثا: مقام الإخبار بأمر غيبي.

**أولا: مقام الملاحظة والتثبت بالأسئلة:**

وهو مما نقل عن بعض الصحابة في موقف إعلان الشهادة والتصديق بالنبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وأعني به: أن يكون لدى الصحابي معرفة سابقة بأمارات النبوة، لكنه يتثبت بين يدي إعلانه للإسلام فيعرض أسئلته على النبي صلى الله عليه وسلم، أو يطيل الملاحظة لأفعاله وهيئته عليه الصلاة والسلام بغية الاطمئنان إلى الإيمان، ويمثله مشهدان من مشاهد السيرة في أول العهد المدني، فالمشهد الأول لعبد الله بن سلام، والثاني لسلمان الفارسي رضي الله عنهما، ومع عرضهما نتأمل كل مقام، ونجلي أثره في إعلان الشهادة بالرسالة.

**أولا: مشهد إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه:** (لَمَّا قَدِمَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم المدينةَ أُخبِرَ عبدُ الله بنُ سَلَامٍ بقُدومه وهو في نَخله، فأتاه فقال: إنِّي سائلُك عن أشياءَ لا يَعلَمُها إلَّا نبيٌّ، فإنْ أخبَرْتَني بها آمَنْتُ بك، وإنْ لم تَعْلَمْهُنَّ عرَفْتُ أنَّك لسْتَ بنبيٍّ، قال: فسألَه عنِ الشَّبَه، وعن أوَّلِ شَيءٍ يَأكُلُه أهلُ الجَنَّة، وعن أوَّلِ شَيءٍ يَحشُرُ الناسَ، قال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أخبَرَني بهنَّ جبريلُ آنفًا، قال: ذاك عَدُوُّ اليهود! قال: أمَّا الشَّبَهُ: إذا سَبَقَ ماءُ الرَّجُلِ ماءَ المرأة ذهَبَ بالشَّبَه، وإذا سَبَقَ ماءُ المرأة ماءَ الرَّجُلِ ذهَبَتْ بالشَّبَه. وأمَّا أوَّلُ شَيءٍ يَأكُلُه أهلُ الجَنَّة: فزِيادةُ كَبِدِ حُوت. وأمَّا أوَّلُ شَيءٍ يَحشُرُ الناسَ: فنارٌ تَخرُجُ مِن قِبَلِ المَشرِقِ، فتَحشُرُهم إلى المَغرِبِ، فآمَنَ، وقال: **أَشهَدُ أنَّك رسولُ الله...**)[1].

موضع الاستشهاد من الحديث في قول عبد الله بن سلام: (أشهد أنك رسول الله) فقد أعلن إسلامه بعد أن أجاب النبي صلى الله عليه وسلم على أسئلته الثلاثة، ويمكن ملاحظة عدة أمور في هذا المقام:

١- الأسئلة التي سألها عبد الله بن سلام دليل رجاحة عقله وكمال علمه، فلم يكن عبد الله بن سلام شاكا ولا مرتابا، بل كان عالما مؤمنا، كما أن تلك الأسئلة إظهار لصدق النبي صلى الله عليه وسلم وأنه يتلقى الوحي من جبريل عن ربه عز وجل.

٢- في الأسئلة التي عرضها عبد الله بن سلام دلالة على علمه فهو من علماء اليهود وسادتهم، ومن لك قوله قبل السؤال: لا يعلمهن إلا نبي، وإقرار اليهود له بالعلم والسيادة.

٣- من مميزات عبد الله بن سلام زكاء نفسه وصدق إيمانه رضي الله عنه؛ إذ أقبل على الحق وآمن بالنبي العربي وليس كباقي اليهود الذين كذبوا وجحدوا.

٤- احتياطه عن ذم اليهود وأذاهم له، وذلك بأن طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يخفيه في بعض بيوته وأن يسألهم عن منزلة عبد الله بن سلام فيهم، فأثنوا عليه خيرا، ولما علموا بإسلامه انقلبوا يذمونه ويعيبونه كما قال عنهم إنهم قوم بهت أي مفترين، وقد جاء ذلك في نص مشابه: (قال: وكتمت إسلامي من يهود، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت له: يا رسول الله، إن يهود قوم بهت وإني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك، وتغيبني عنهم، ثم تسألهم عني، حتى يخبروك كيف أنا فيهم، قبل أن يعلموا بإسلامي، فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني. قال:

(١) المسند: (١٣٨٦٨) إسناده صحيح على شرط مسلم، وبنحوه أخرجه البخاري: (٣٣٢٩)، والنسائي في (السنن الكبرى): (٨٢٥٤).

فأدخلني رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض بيوته، ودخلوا عليه، فكلموه وساءلوه، ثم قال لهم: أي رجل الحصين بن سلام فيكم؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا، وحبرنا وعالمنا. قال: فلما فرغوا من قولهم، خرجت عليهم، فقلت لهم: يا معشر يهود، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به، فو الله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسمه وصفته، فإني أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأومن به وأصدقه وأعرفه)[1].

٥- تكشف رواية أخرى للمشهد عن مشاعر الترقب والاستبشار من عبد الله بن سلام بقدوم النبي عليه الصلاة والسلام فقد ورد في صفة قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة: (...فأشْرَفُوا يَنْظُرُونَ ويقولونَ: جاءَ نَبِيُّ اللَّه، جاءَ نَبِيُّ اللَّه، فأقْبَلَ يَسِيرُ حتَّى نَزَلَ جانِبَ دارِ أبِي أيُّوبَ، فإنَّه لَيُحَدِّثُ أهْلَهُ إذْ سَمِعَ به عبدُ اللَّه بنُ سَلَامٍ وهو في نَخْلٍ لأهْلِه يَخْتَرِفُ لهمْ، فَعَجِلَ أنْ يَضَعَ الذي يَخْتَرِفُ لهمْ فيها، فَجاءَ وهي معهُ، فَسَمِعَ مِن نَبِيِّ اللَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ثُمَّ رَجَعَ إلى أهْلِه)[2] فلم يسعه من شوق اللقاء أن يضع ما في يده!

وكذا قابله النبي صلى الله عليه وسلم بحفاوة فاستقبله وأجاب عن أسئلته، ثم استجاب لطلبه في إخفائه وسؤال اليهود عن مكانته بينهم، كما ورد في حديث سابق.

٦- المقام والظرف المجتمعي في ذلك المشهد له اتجاهان كما أفادته الروايات السابقة:

- الاتجاه العام لأهل المدينة من الأنصار المستبشرين بمقدم الرسول صلى الله عليه وسلم.
- الاتجاه الخاص باليهود الذين يضمرون العداء للنبي العربي الخاتم، وهذا يظهر في رواية مشابهة للحديث، فيها استنكار عمة عبد الله بن سلام لتكبيره الذي يعبر عن حالة الفرح لديه: (فأقبل رجل حتى أخبر بقدومه، وأنا في رأس نخل لي أعمل فيها، وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة، فلما سمعتُ الخبر بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كبّرت، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري: لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زاد. يعني إن فعلت. قال، قلت لها: يا عمتي، هو والله أخو موسى بن عمران، وعلى دينه بعث بما بعث به، فقالت: يا ابن أخي، أهو النبي

(١) الروض الأنف: (٣٠٩/٤).
(٢) صحيح البخاري: (٣٩١١).

الذي كنا نبشر به أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قال: قلت لها: نعم، قالت: فذاك إذن)[1].

وهنا يمكن القول بأن مقام إعلان الشهادة لدى عبد الله بن سلام محفوف بالبشر والترقب والطمأنينة والثبات ثم المناصحة لليهود.

**ثانيًا: مشهد إسلام سلمان الفارسي:** جاء في الحديث: (كنتُ من أبناءِ أساوِرَةِ فارسَ، قال: فذكرَ الحديثَ، فانطلَقْتُ ترْفَعُنِي أرْضٌ وتَخْفِضُنِي أُخْرَى، حتَّى مَرَرْتُ على قومٍ فاستَعْبَدُونِي فباعونِي، حتَّى اشتَرتْنِي امرأَةٌ فسمعْتُهم يذكرون النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وكان العيشُ عزيزًا فقلْتُ لها: هَبِي لِي يومًا قالَتْ: نَعَمْ فانطلَقْتُ فاحتطبْتُ حطَبًا فبِعْتُهُ، فصنَعْتُ طعامًا فأَتَيْتُ به النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فوضعْتُهُ بينَ يدَيْه، فقال: ما هذا؟ فقُلْتُ صدقَةٌ، فقال لأصحابه: كُلُوا ولم يَأْكُلْ! فقلْتُ هذِه مِنْ علاماتِه، ثم مَكَثْتُ ما شاءَ اللهُ أنْ أمْكُثَ، فقُلْتُ لمولاتي: هَبِي لِي يومًا، قالتْ: نعم فانطلقْتُ فاحتطبْتُ حطبًا فبعْتُهُ بأكثَرَ مِنْ ذلكَ فصنعْتُ طعامًا، فأَتَيْتُهُ بِهِ وهو جالِسٌ بينَ أصحابِهِ فوضعتُه بينَ يديْه، فقالَ: ما هذا؟ فقلْتُ هديَّةٌ فوضع يدَهُ وقال لأصحابِهِ خذُوا باسْمِ اللهِ، وقمْتُ خلْفَهُ فوضَعَ رداءَهُ، فإذا خاتَمُ النبوَّةِ، فقلْتُ: **أشهَدُ أنَّكَ رسولُ اللهِ**، فقالَ: وما ذاكَ؟ فحدَّثْتُهُ...)[2].

والشاهد في الحديث إعلان سلمان رضي الله عنه للشهادة بالرسالة، ويبدو من سياق الحديث أمور:

- أنه رضي الله عنه باحث عن الدين الحق طوال القصة.
- كان متثبتا من صدق الرسول صلى الله عليه وسلم بملاحظة صفات ثلاث بلغه أنها صفات النبي الخاتم.
- تحمل رضي الله عنه المشاق والاغتراب والعبودية بحثا عن الحقيقة "ترفعني أرض وتخفضني أخرى"
- شجاعته رضي الله عنه في البحث عن الحقيقة وهي أمارة الصدق والشوق للحق والشغف به.

وبالنظر لموقف النبي صلى الله عليه وسلم فيلحظ ما يلي:

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: (٢٩٢/١).

(٢) مجمع الزوائد: (٢٤٣/٨) قال عنه: رجاله ثقات.

- القبول بأن قبل منه عليه الصلاة والسلام الصدقة وقال لأصحابه كلوا وامتنع هو عن الأكل، ثم قبل الهدية وأكل منها ودعا أصحابه للأكل معه.
- تطييب خاطره بوضع الرداء عن ظهره عليه الصلاة والسلام ليتمكن سلمان من رؤية خاتم النبوة الذي كان يتحين النظر إليه.
- سؤاله عليه الصلاة والسلام عن خبره ومؤانسته بذلك بعد إعلانه للشهادة، مع أنه كان وقتها عبد مملوك.

وبالنظر للظرف المجتمعي الذي كان فيه سلمان رضي الله عنه ألحظ ما يلي:

- انتقاله رضي الله عنه من حال الاستقرار إلى التنقل والغربة ثم الاستعباد في سبيل البحث عن الدين الحق:(فاستَعْبَدُونِي فباعونِي حتَّى اشتَرتْنِي امرأَةٌ) وهنا أمارة من أمارات إصراره في البحث وصدقه في الطلب رضي الله عنه.
- كان في بحث دؤوب دائم لم يهدأ فيه ولم تستقر حاله إلا بعد رؤية النبي صلى الله عليه وسلم، وإعلان إسلامه.

ولذا يمكن القول إن المقام الذي أعلن فيه سلمان شهادته هو مقام الشوق والترقب والإصرار على ملاقاة الحقيقة، ثم الاطمئنان إلى صدق النبي الكريم بالتثبت والملاحظة، مع استحضار سابق العلم واللقاء بالحقيقة التي بحث عنها سنين طويلة.

ويمكن القول إن مقام الاستفهام الظاهر المعبر عنه بالسؤال، أو الاستفهام المضمر في النفس والمعبر عنه بالملاحظة والترقب يصحبه شوق وإصرار وتثبت في هذا السياق، كما أنه لا معنى للاندهاش أو التعجب لاعتبار سبق العلم، ولقاء الحقيقة المنتظرة.

**ثانيًا: مقام المعجزة المشاهدة المحسوسة:**

مفهومه: بأن تكون المعجزة التي حصلت على مرأى من الصحابي سببا في نطقه للشهادة في ذلك الموقف.

وقد مثل هذا السياق مشهدان في السيرة النبوية، اجتمع فيهما الإقرار بالشهادة بالرسالة بعد حصول معجزة محسوسة مشاهدة وقعت في ذلك المشهد النبوي، وهما: الراعي في طريق الهجرة، والعذق الذي جاء للنبي صلى الله عليه وسلم، ولي وقفات متأملة في سياق ورود كل منها، وأثره في النطق بالشهادة:

**أولاً: مشهد الراعي في طريق الهجرة:** (انطلَقْ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ومعه أبو بكرٍ رضِيَ اللهُ عنه مستخْفِيًا من قُرَيْشٍ فمرَّا براعٍ فقال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم هلْ من شاةٍ ضربَها الفحلُ قال: لا، ولكن ها هنا شاةٌ قد خلَّفَها الْجَهْدُ فقال: ائْتِنِي

بها فأتاه بها فمسح ضَرْعَها ودعا بالبركَة، فحلَبَ فسقَى أبا بكر، ثم حَلَبَ فسقَى الراعِيَ، ثم حَلَبَ فشرِبَ، فقالَ له: باللهِ ما رأيتُ مثلَكَ مَنْ أنتَ؟ قال: إنْ أخبرْتُكَ تَكْتُمُ عَليَّ؟ قال: نعم، قال: محمدٌ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، قال: الذي تزعُمُ قريشٌ أنه صابِئٌ؟ قال: إنهم يقولونَ ذلكَ، قال: فإنِّي أشهدُ أنكَ رسولُ اللهِ، وأنه لا يقدرُ على ما فعلْتَ إلَّا رسولٌ، ثم قال له: أَتَّبِعُكَ؟ فقال له النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أمَّا اليومَ فلَا؛ ولكنْ إذا سَمِعْتَ أنَّا قدْ ظهَرْنا فائْتِنا، فأَتَى النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بعدَ ما ظهرَ بالمدينةِ)[1]

وعند تأمل السياق الذي وردت فيه عبارة الشهادة بالرسالة تبدو الملاحظات السياقية الآتية:

-عبر الراعي بأسلوب إنشائي متضمن التعجب والاستفهام لبيان عجبه لما رأى من النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (بالله ما رأيتُ مثلك، مَنْ أنتَ؟) وتتابع أسلوبي الإنشاء على هذا النحو مشعر بعظيم العجب، مع اللهفة في معرفة الجواب.

-أتبع الراعي جواب النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال يدل على صورة مسبقة عما انتشر مما أذاعته قريش عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (الذي تزعم قريش أنه صابئ؟) ومع ذلك لم يتأثر بما قالوا وقد رأى منه ما رأى، فكان أن نطق الشهادة، وزاد عليها مطنبا في القول تأكيدا لما رأى، وحسما لأي سؤال قد يرد على الذهن: كيف تشهد له بهذه السرعة؟ فجاءت جملة الجواب: (وأنه لا يقدر على ما فعلْت إلَّا رسول) وهي جملة ثرية بالمؤكدات من أنّ وأسلوب القصر، واستحضار المعجزة المشاهدة في الموقف.

-عبر الراعي عن تصديقه للرسالة المحمدية بقول الشهادة وبالفعل أيضا، حيث سأل النبي عليه الصلاة والسلام اتباعه، لكن النبي أمهله حتى يظهر أمره بالمدينة، وهو ما فعله الراعي بعد ذلك، كما جاء بذلك الحديث.

وبهذه الدلالات السياقية مجتمعة يمكن القول بأن الشهادة بالرسالة انطلقت من الراعي باستسلام وإيمان ثابت، وأن ما رآه في ذلك الموقف يفوق قدرة البشر؛ ولذا فقد شهد بالرسالة لرسول الله عليه الصلاة والسلام غير متأثر ولا متزعزع، وقد كان الاستفهام الحقيقي حاضرا في محاورته ليدل على صدق طلبه للحق ويقينه به.

**ثانيًا: معجزة العذق** الذي دعاه النبي صلى الله عليه وسلم، ونص الحديث: (جاءَ أعْرابيٌّ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقالَ: بِمَ أَعرِفُ أنَّك رَسولُ اللهِ؟ قالَ: أَرَأَيْتَ إن

(١) مجمع الزوائد: (٨/٣١٥) قال عنه: رجاله رجال الصحيح.

دَعَوْتُ هذا العِذْقَ مِن هذه النَّخْلَةِ، أَتَشهَدُ أَنِّي رَسولُ اللهِ؟ قالَ: نَعمْ، فجاءَ العِذْقُ يَنزِلُ مِن النَّخْلَةِ حتَّى سَقَطَ في الأرْضِ، فجَعَلَ يَنقُزُ حتَّى أتى النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ثُمَّ قالَ له: ارْجِعْ، فرَجَعَ حتَّى عادَ إلى مَكانِه، فقالَ: أَشهَدُ أنَّك رَسولُ اللهِ، وآمَنَ به)[1].

ونزول العذق من النخلة وإقباله على رسول الله عليه الصلاة والسلام ثم رجوعه إلى مكانه مرة أخرى بأمر رسول الله معجزة خارجة عن الطبيعة المألوفة، ولذا انشرح لها قلب الأعرابي الذي كان صادقا في البحث عن الحق، فنطق وقتها بالشهادة، وقد كان مشهد التحول للإسلام محفوفا بعدة دلالات يمكن أن نقرأها من خلال المشهد:

- ابتدر الأعرابي طلب معجزة تظهر صدق الرسول وأنه مؤيد من ربه، وذلك بالمبادرة بالسؤال: (بِمَ أَعرِفُ أنَّك رَسولُ اللهِ؟) فكان أن اشترط عليه الرسول أن يؤمن، فقبل الأعرابي ووفّى.
- جاء في رواية أخرى أن الأعرابي قال: "والله لا أكذبك بشيء تقوله بعدها أبدا، أشهد أنك رسول الله، وآمن)[2].

وهذه الزيادة تحمل التأكيد على ما وقع في نفس الأعرابي من التصديق، حيث تضمن الحلف المؤكد على نفي التكذيب، وهو متضمن على هذا معنى تأكيد تصديقه عليه الصلاة والسلام، والشهادة له بالرسالة، والإقرار بإيمانه وصلاح حاله.

- وبالنظر لحال المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم فإن المشهد يدل على سماحة نفسه وحرصه على هداية أفراد الناس من أعراب وحاضرة، كما أن فيه ربط المعجزة بالغاية منها، وهو حصول الشهادة بالرسالة له عليه الصلاة والسلام.

ولذا فيمكن القول بعد هذه الملاحظات السياقية أن حالة الإقبال والبحث عن الحقيقة كانت ظاهرة في المشهد، ولذا انطلقت الشهادة بالرسالة من الأعرابي بمجرد مشاهدته المعجزة، والله أعلم.

**ثالثا: مقام الإخبار بأمر غيبي:**

وهو أن يخبر رسول الله عليه الصلاة والسلام بقول أو فعل أسرّه المتكلم إلى أحدهم، ولم يطلع عليه أحد غيرهما، ثم يبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي.

(١) الأحاديث المختارة: (٩ /٥٣٩) وقال عنه: [هذه أحاديث اخترتها مما ليس في البخاري ومسلم].

(٢) أخرجه الترمذي: (٥/٥٥٤)، وابن كثير في البداية والنهاية: (٦/١٤٣)، وينظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: (٩/٤٩٩).

والشواهد على هذا النوع هي أكثر الأحاديث التي وقعت فيها عبارة الشهادة بالرسالة، حيث يندرج فيها خمسة أحاديث هي كالآتي:

**موقف أبي بكر من حادثة الإسراء:** وسأذكر جزءا من الحديث هو محل الاستشهاد وذلك لطول النص.

ومطلع الحديث: "قلنا: يا رسول الله.. كيف أسري بك؟ قال: صليت لأصحابي صلاة العتمة بمكة معتما وأتاني جبريل عليه السلام بدابة بيضاء فوق الحمار ودون البغل..." إلى أن قال: "...ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة فأتاني أبو بكر رضي الله عنه، فقال: يا رسول اللهِ! أين كنت الليلة فقد التمستك في مكانك؟ فقال: علمت أني أتيت بيت المقدس الليلة، فقال: يا رسول اللهِ! إنه مسيرة شهر فصفه لي، قال: ففتح لي صراط كأني أنظر فيه لا يسلني عن شيء إلا أنبأته عنه، قال أبو بكر: أشهد أنك رسول اللهِ، فقال المشركون: انظروا إلى ابن أبي كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة..."[(١)].

وحادثة الإسراء والمعراج مما يكاد يجمع العلماء المحققون على أنها حصلت بعد البعثة[(٢)]، وقد تعددت الروايات في ذكر موقف الصديق رضي الله عنه من تلك الحادثة، وهي تجمع على موقفه الموقن الثابت، وتصديقه الفريد حتى أنه سمي بالصديق بعد تلك الحادثة، ومن الأقوال المنقولة عنه في جوابه رضي الله عنه لما بلغته حادثة الإسراء قوله:

- (فجاء ناس إلى أبي بكر فذكروا له قصة الإسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس، فقال أبو بكر: أشهد أنه صادق، فقالوا: وتصدقه بأنه أتى الشام في ليلة واحدة ثم رجع إلى مكة؟ قال: نعم، إني أصدقه بأبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء، فسمي بذلك الصديق)[(٣)].
- (والله لئن كان قاله لقد صدق، فقالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح؟ قال : نعم، فما يعجبكم من ذلك؟ إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء يأتيه في غدوة أو روحة، فهذا أبعد مما تعجبون منه...)[(٤)].

(١) دلائل النبوة: (٣٥٥/٢) إسناده صحيح، وقد نقل أن قوله: (صف لنا بيت المقدس) من قول المطعم بن عدي. ينظر: الجامع الصحيح للسيرة النبوية، لسعد المرصفي: (٥١٢/٤).
(٢) ينظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة – محمد أبو شهبة: (٤١٧/١).
(٣) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى: (٢١١/١).
(٤) الروض الأنف: (٣٩٨/٣).

يلحظ في إجابات الصديق أنها صريحة في التصديق متضمنة للتوكيد بعدد من المؤكدات، مقترنة بالتفصيل أو الإنكار على المنكرين للخبر، وهذا الأسلوب ينقض إنكار المتكلم الأول، إذا أحسن ربطه بالحجة المقنعة التي تقلب إنكار المنكر ليكون أمرا مسلما به إذ فيه ما هو أعجب وأبعد، وذلك ظاهر في الروايتين الأخيرتين، حيث جاءت الإجابة عن السؤال بسؤال: "فما يعجبكم من ذلك؟" ثم بادر بالجواب الحجاجي المفصل: "إني لأصدقه بأبعد من ذلك! وفي رواية أخرى: "إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك!"، أصدقه بخبر السماء يأتيه في غدوة أو روحة، فهذا أبعد مما تعجبون منه!"

ويلحظ قوة الحجة مع شحنها بالمؤكدات وهذا الأسلوب يدل على قوة اعتقاد المتكلم بما يقول، وإيقانه به.

أما الظرف الذي قيلت فيه عبارة الشهادة فهو موقف المجتمع القرشي المكذب المستهتر الجاحد المتهكم بما قاله النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كانت تلك الحادثة فتنة للناس كما قال تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ) [الإسراء:٦٠] فتأويل الكلام: وما جعلنا رؤياك التي أريناك ليلة أسرينا بك من مكة إلى بيت المقدس، إلا فتنة للناس يقول: إلا بلاء للناس الذين ارتدوا عن الإسلام، لما أخبروا بالرؤيا التي رآها عليه الصلاة والسلام، وللمشركين من أهل مكة الذين ازدادوا بسماعهم ذلك من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– تماديا في غيهم، وكفرا إلى كفرهم(١).

٢– ومن الأحداث والمشاهد النبوية التي جاء فيها إخبار بالغيب ما رواه العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة فدائه من أسر بدر، وابني أخويه نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وعقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، وحليفه عتبة بن عمرو، فقال العباس: ما ذاك عندي يا رسولَ الله!" قال: فأين المالُ الَّذي دفَنتَ أنت وأُمُّ الفَضل، فقلتَ لها: إنْ أُصِبتُ؛ فهذا المالُ لبني: الفَضل، وعبدِ الله، وقُثَمَ؟! فقال: والله يا رسولَ الله، إنِّي أَشهَدُ أنَّكَ رسولُ الله، إنَّ هذا لَشيءٌ ما علِمَه أَحَدٌ غَيري، وغَيرُ أُمِّ الفَضل!... ففَدى العبَّاسُ نَفسَه، وابنَيْ أَخوَيْه، وحَليفَه، وأنزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنفال:٧٠]

(١) اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون، موسى العازمي: (٥١٤/١).

فأَعطاني مَكانَ العشرين الأوقيَّةِ في الإسلامِ عِشرين عَبــدًا، كُلُّهــم فــي يَــدِه مــالٌ يَضرِبُ به، مع ما أَرجو مِن مَغفِرَةِ اللهِ عزَّ وجلَّ"(١).

وموضع الاستشهاد في إخبار الرسول الله عليه الصلاة والسلام لأمر غيبي حصل بين العباس وأم الفضل بمكة، ولم يطلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم إلا من طريق الوحي، ولذا أخذت الدهشة العباس فشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة إقرارا بهذه المعجزة، وقد جاءت الجمل في هذا السياق مشحونة بالتوكيد، مقرة بالرسالة، وذلك بملاحظة أمور:

- تتابعت ثلاث جمل كل منها يدل على معنى الإقرار باستحقاق الرسالة:
- "والله يا رسول الله" حلف مع الإقرار بالرسالة في المخاطبة.
- "إني أشهد أنك رسول الله" الشهادة بالرسالة بصيغة مؤكدة على ما بينا من معانيها ودلالاتها البلاغية.
- "إن هذا لشيء ما علمه أحد غيري" إقرار بالمعجزة النبوية، واستسلام كامل، مع استحكام الدهشة بالعباس رضي الله عنه في تلك اللحظة.
- جاء النطق بالشهادة في مقام الأسر والهزيمة التي لحقت قريشا يوم بدر، ومع ذلك لما طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من العباس عمه فداء ادعى أنه لا مال له! فباغته الرسول بخبر الوحي إذ قال: "فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل تحت أسكفة الباب، وقلت لها: إن قتلت فهو للصبية؟ فقال العباس: والله يا رسول الله إن هذا شيء لم يطلع عليه غيري وغير أم الفضل إلا الله عز وجل!!"(٢).

وقد نقل الحافظ ابن حجر الاختلاف في الوقت الذي أسلم فيه العباس –رضي الله عنه–، فقيل: أسلم قبل الهجرة، وأقام بأمر النبي –صلى الله عليه وسلم– له في ذلك لمصلحة المسلمين، ويرده أن العباس أسر ببدر، وقد فدى نفسه، وأما قول أبي رافع –رضي الله عنه– في قصة بدر: "كان الإسلام دخل علينا أهل البيت"، فلا يدل على إسلام العباس حينئذ، فإنه كان ممن أسر يوم بدر، وفدى نفسه وعقيلا ابن أخيه أبي طالب، والمشهور أنه أسلم قبل فتح خيبر(٣).

٣- ومن مشاهد السيرة المرتبطة بسياق الإخبار بالغيب في إعلان الشهادة للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة قصة عمير بن وهب الجمحي ونصها: "لمَّا رجع وفدُ المشركينَ إلى مكةَ أقبل عُميرُ بنُ وهبٍ الجُمَحِيُّ حتَّى جلس إلى صفوانَ بنِ أميةَ في

(١) المسند: (٣٣٦/٥) بإسناد حسن، والبيهقي: (١٣٢٢٩).
(٢) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير: (٤٦٩).
(٣) ينظر: اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون: (٣٣/٤).

الحجرِ، فقال صفوانُ: قبُح العيشُ بعد قتلَى بدر، قال: أجلْ واللهِ ما في العيشِ خيرٌ بعدَهم، ولولا دينٌ عليَّ لا أجدُ له قضاء وعيالٌ لا أدعُ لهم شيئًا لرحلتُ إلى محمد فقتلتُهُ إنْ ملأتُ عيني منه، إنَّ لي عنده علةٌ أعتلُّ بها أقولُ : قدمتُ على ابني هذا الأسيرِ، ففرِح صفوانُ بقوله وقال: عليَّ دَينُك وعيالُكَ أسوةُ عيالي في النفقةِ لا يسعُني شيءٌ ويعجزُ عنهم، فحملَهُ صفوانُ وجهزَهُ وأمر بسيفٍ عميرٍ فصُقِلَ وسُمَّ وقال عميرٌ لصفوانَ: اكتُمني أيامًا، فأقبل عميرٌ حتَّى قدِمَ المدينةَ فنزل بابِ المسجدِ وعقل راحلتَهُ وأخذ السيفَ فعمدَ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم، فدخل هو وعمرُ بنُ الخطابِ رضي اللهُ عنه فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم لعمرَ: تأخَّر ثمَّ قال: ما أقدمكَ يا عميرُ؟ قال: قدمتُ على أسيري عندكم، قال: اصدُقْني ما أقدمكَ؟ قال: ما قدمتُ إلَّا في أسيري، قال: فماذا شرطتَ لصفوانَ بنِ أميَّةَ في الحِجرِ؟ ففزِعَ عميرٌ وقال: ماذا شرطتَ له؟ قال: تحملت له بقتلي على أنْ يعولَ بنيكَ ويقضي دينَكَ، واللهُ حائلٌ بينكَ وبين ذلك، قال عمَيرٌ: **أشهدُ أنكَ رسولُ الله**، إنَّ هذا الحديثَ كان بيني وبين صفوانَ في الحجرِ لم يطَّلِعْ عليه أحدٌ غيري وغيرُه فأخبركَ اللهُ به فآمنتُ باللهِ ورسولِه، ثمَّ رجع إلى مكةَ فدعا إلى الإسلامِ فأسلمَ على يدهِ بشرٌ كثيرٌ)[1].

ومن التأملات في هذا المشهد العجيب:

- إقبال عمير بحال الكفر وانقلابه بحال أخرى، حيث كان عازما على الفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم وبعد اللقاء بالنبي رجع بحال أخرى من الإيمان والدعوة.
- انتقاله من حال الأمن والثقة عند دخوله المدينة متقلدا سيفه المسموم، إلى حال الفزع لما باغته النبي صلى الله عليه وسلم بالسؤال: اصدُقْني ما أقدمكَ؟ قال: ما قدمتُ إلَّا في أسيري، قال: فماذا شرطتَ لصفوانَ بنِ أميَّةَ في الحِجرِ؟ ففزِعَ عميرٌ وقال: ماذا شرطتَ له؟".
- القوة المتمثلة في المشهد من جميع المتحاورين: فشجاعة النبي صلى الله عليه وسلم في مواجهته لعمير بحالته المريبة وهو متقلد سيفه، وقوة الخطاب الدائر بين الرسول وعمير لما أنكر السبب الحقيقي لمجيئه: "اصدقني؛ ما أقدمك؟" وهذا السؤال كفيل بزعزعة ثقة الخصم بنفسه وأنه وإن تظاهر الصدق، فإنه محل شك وريبة لدى خصمه.

(١) الخصائص الكبرى: (٢٠٨/١) وقال عنه: إسناده صحيح، وأخرجه الطبراني: (٦٢/١٧).

- المفاجأة بالأمر الغيبي الكاشف عن الحقيقة: " تحملت له بقتلي على أنْ يعولَ بنيكَ ويقضي دينَكَ" وختمه بوعد المنعة والحماية من الله تعالى: "واللهُ حائلٌ بينكَ وبين ذلك!".
- ردة الفعل والتحول من الكفر والحقد على الإسلام إلى ضدها باستحضار المخاطب لصفات الله تعالى العلية، من كمال علمه وإحاطته بخلقه، وأنه كبير وعلى كل شيء قدير، قلب الموازيين في نفسٍ عمير حتى أطلق عبارته: (لم يطَّلعْ عليه أحدٌ غيري وغيرُه، فأخبركَ اللهُ به فآمنتُ باللهِ ورسولِه)[1].

٤- ومن السياقات التي وقع فيها الإخبار بالغيب بما يهز قلب المتحدث مع رسول الله ويستنطق استسلامه لله ولرسوله ما حصل من أبي سفيان ليلة فتح مكة حيث دخل الناس مكة فلم يزالوا (في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا، فقال أبو سفيان لهند: أترين هذا من الله؟ ثم أصبح فغدا أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: قلت لهند: أترين هذا من الله! نعم، هو من الله، فقال أبو سفيان: **أشهد أنك عبد الله ورسوله**، والذي يحلف به أبو سفيان ما سمع قولي هذا أحد من الناس إلا الله عز وجل وهند)[2]

والمقام هنا مبتهج بالنصر والتمكين فقد كان فتحا مبينا، ذلت فيه أعناق الكفار، وعلت فيه راية الحق وأهله، ويمكن أن نتبين من التأمل في السياق عدة دلالات:

- المعنى الخفي الذي كان يضمره أبو سفيان في نفسه عند سؤاله هندا: "أترين هذا من الله؟"
- مبادرة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سفيان بما بلغه بالوحي: "قلت لهند: أترين هذا من الله؟" ثم مبادرته بالجواب على مسمع أبي سفيان: "نعم، هو من الله" ليزول ما في نفسه من تردد، وليؤكد بواعث الإيمان في نفسه.

وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال: لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب في الطواف فقال: (يا أبا سفيان هل كان بينك وبين هند كذا وكذا؟ فقال أبو سفيان: أفشت علي هند سري! لأفعلن بها ولأفعلن.. فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من طوافه لحق أبا سفيان فقال: يا أبا سفيان لا تكلم هندا فإنها لم تفش من سرك شيئا، فقال أبو سفيان: أشهد أنك رسول الله)[3]!

(١) الخصائص الكبرى: (٢٠٨/١).
(٢) دلائل النبوة للبيهقي: (١٠٣/٥).
(٣) الخصائص الكبرى: (٤٤٢/١).

وفي رواية أخرى، خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان جالس في المسجد فقال أبو سفيان: (ما أدري بم يغلبنا محمد؟ فأتى النبي صلى الله عليه وسلم حتى ضرب في صدره وقال: بالله يغلبك، فقال أبو سفيان: أشهد أنك رسول الله)[1].

والروايات تجمع على إعلان أبي سفيان للشهادة بالرسالة للرسول صلى الله عليه وسلم، وبزيادة "عبد الله ورسوله" في الرواية الأولى، وعلى أن العبارة التي علق بها أبو سفيان واحدة، إلا أن سياقاتها متنوعة لا تخلو من استثارة السامع بأسلوب الإنكار أو الاستفهام: "أفشت علي هند سري! لأفعلن بها ولأفعلن"، "ما أدري بم يغلبنا محمد؟"

وعطف العبودية على الرسالة في هذا المشهد يحمل دلالات متعددة منها:

- أن مقتضى الشهاد بالرسالة ألا تعتقد أن لرسول صلى الله عليه وسلم حقا في الربوبية وتصريف الكون أو حقا في العبادة، فلا يعبد ولا يكذب[2] فالرسالة على هذا المعنى متضمنة معنى العبودية.
- أن إضافة العبودية لله تعالى في مقام النصر والتمكين زيادة تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم بأن ما تحقق له بأمر الله ومشيئته.
- استحضار العبودية والرسالة معا في هذا المشهد خاصة، يتضمن الحكمة مما قضى الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام من إحلال مكة ساعة من نهار، وهو حكم لم يكن إلا له عليه الصلاة والسلام، وفيه تمكين للرسالة المحمدية للقضاء على الشرك ودواعيه وإنفاذ وعده تعالى لنبيه بالفتح المبين.
- أن العبودية تعني الاستسلام والانقياد، والرسالة تبين شرع الله تعالى.
- استحضار المقام في بيت الله تعالى في ذلك الموقف، أو موقف العبادة يقتضي استحضار معنى الذل والخضوع مع الإيمان والحب لله تعالى، وهو معنى العبودية، مع معنى الرسالة الماثل في اتباع الشرع وظهوره على من خالفه.

٥- ومن السياقات التي ورد فيها الإخبار بأمر غيبي ما ورد في البخاري: (أَنَّ رَجُلًا مِن أَعْظَمِ المُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنِ المُسْلِمِينَ، في غَزْوَةٍ غَزَاهَا مع النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ، فَنَظَرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ فَقالَ: مَن أَحَبَّ أنْ يَنْظُرَ إلى الرَّجُلِ مِن أهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إلى هذا[3]، فَاتَّبَعَهُ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ، وهو علَى تِلْكَ الحَالِ مِن أَشَدِّ النَّاسِ علَى المُشْرِكِينَ، حتَّى جُرِحَ، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَجَعَلَ ذُبَابَةَ سَيْفِه بيْنَ ثَدْيَيْهِ حتَّى خَرَجَ مِن بَيْنِ كَتِفَيْهِ، فأقْبَلَ الرَّجُلُ إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ مُسْرِعًا، فَقالَ:

(١) السابق.

(٢) ينظر: شرح الثلاثة الأصول لابن عثيمين: ٥٧.

(٣) اسم الرجل قُزْمان، وذكر أن المشهد في غزوة خيبر، ينظر: شرح الكرماني على صحيح البخاري لشمس الدين محمد الكرماني: (١١/ ٢٤٢).

أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسولُ اللَّه، فَقالَ: وما ذَاكَ قالَ: قُلْتَ لفُلَانٍ: مَن أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إلى رَجُلٍ من أهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إلَيْه، وكانَ من أعْظَمِنَا غَنَاءً عَنِ المُسْلِمينَ، فَعَرَفْتُ أَنَّه لا يَمُوتُ عَلَى ذلكَ، فَلَمَّا جُرِحَ اسْتَعْجَلَ المَوْتَ فَقَتَلَ نَفْسَهُ...)[1].

وفي الحديث تحذير ضمني من الاغترار بظاهر الأعمال، فالعبرة بالخواتيم، وهو حديث عظيم يحذر المسلم من الاغترار بصالح عمله، ويدعوه لطلب الثبات واستقامت الحال من الله تعالى، فإن العبد لا يعلم بم يختم له!

ومن المعاني التي تقوي سياق الشهادة بالرسالة في الحديث:

- جاء الحديث في البخاري باب العمل بالخواتيم، والخاتمة أمر غيبي أطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عليه في هذا الموقف.
- الشهادة تحمل معنى مواطأة اللسان للقلب، فهي إعلام بما في القلب، وهو يتناسب مع الصدق مع الله تعالى في طلب ما عنده حتى لا يبطل العمل.
- في الحديث عرض النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه خبرا غريبا، حيث ذكر النبي عن رجل شجاع يرونه الأشد على المشركين وحكم عليه بحكم أعظمه الناس، وهو أنه من أهل النار!! "فأعْظَمَ النَّاسُ ذلكَ، فَقُلتُ: أَنَا لَكُمْ به، فَخَرَجْتُ في طَلَبِهِ..." كما في رواية أخرى للحديث[2].
- الصحابي الذي خرج لمتابعته هو أكثم بن أبي الجون الخزاعي رضي الله عنه، وقد استشرف أمرا تجاه ذاك المقاتل: "فعرفت أنه لا يموت على ذلك" وهنا يظهر يقين الصحابة وتصديقهم بحكم النبي صلى الله عليه وسلم.
- حرص الصحابة على معرفة أسباب انقلاب الحال حذرا منها وتجنبا لها، ومن باب: "مخافة أن يدركني".
- إقبال الصحابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ونقله للمشهد تصديقا لخبر الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فقد رأى الخبر عين اليقين، حيث شاهد تصديق الخبر وشهد عليه، ولذا جاءت الشهادة بالرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع زيادة يقين، وتجديد تصديق بخبر الوحي الذي بلّغه رسول الله عليه وسلم.
- استسلام الصحابي المسبق لخبر النبي صلى الله عليه وسلم، وما كان منه من نظر وترقب من باب معرفة تفاصيل السبب، و"ليطمئن قلبي" مع استقرار التصديق واليقين.

(١) البخاري: (٦٦٠٧).
(٢) صحيح مسلم: (١١٢).

**الخاتمة**

ترددت عند عدد من الصحابة الكرام عبارة في مقامات متنوعة شهدوا فيها أمام رسول الله عليه الصلاة والسلام بقولهم: (أشهد أنك رسول الله)، وقد عرضت معنى العبارة ودرست بلاغتها، وفصلت القول في مقاماتها المتنوعة، وأغراض قولها في كل مقام، ثم إني خرجت بنتائج منها:

١- ارتباط النطق بعبارة الشهادة بمعجزة نبوية تحرك الإيمان في نفس الصحابي، وتطلق لسانه بالشهادة.

٢- تنوع أحوال القائلين لعبارة الشهادة ما بين مؤمن موحد، ومسلم جديد، وهو مؤشر على عمق التأثير النبوي في المشهد الذي جمع بين الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابي.

٣- أسلوب التوكيد من الأساليب المرتبطة بسياق الحال أشد الارتباط، وسببه المتكلم والمخاطب والسياق المحيط بهما.

٤- سياق عبارة الشهادة كان محفوفا بمقامات متنوعة: كالشوق والتعظيم والتعجب، والحب، والتصديق والإذعان والتسليم، وهي مقامات متنوعة الأغراض، متفقة العبارة.

وفي الختام أوصي الباحثين بتتبع التراكيب والعبارات التي جرت على ألسنة الصحابة بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم، والتي يجمعها لفظ واحد وتختلف سياقاتها، ودراستها والبحث في بلاغتها، لما فيها من معان بديعة.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

## فهرس المصادر والمراجع


- الأستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن (١٩٨٥م) شرح كافية ابن الحاجب في النحو (د. ط) دار الكتب العلمية–بيروت، لبنان.
- الإسفراييني، عصام الدين إبراهيم(٢٠٢١م) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ط١، حققه: عبد الحميد هنداوي، لبنان بيروت، دار الكتب العلمية.
- الأصفهاني، الراغب(١٤١٨–١٩٩٧م) مفردات ألفاظ القرآن، ط٢، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية.
- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م) النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، بيروت، لبنان، المكتبة العلمية.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م) مقاييس اللغة، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، سوريا، دار الفكر.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (١٤١٦هـ– ١٩٩٦م) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ط١، تحقيق: محمد الحاج، جدة، السعودية، دار القلم، دار الشامية.
- ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م) البداية والنهاية، ط١، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الجيزة– مصر، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (١٤١٤هـ) لسان العرب، ط٣، بيروت، لبنان، دار صادر.
- ابن يعيش، محمد بن علي (١٤٢١هـ– ٢٠٠١م) شرح المفصل للزمخشري، ط١، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
- أبو شهبة، محمد بن محمد بن سويلم (١٤٢٧هـ) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ط٨، دمشق، سوريا، دار القلم.
- أبو لحية، عيوني إدريس (١٤٣٢هـ–٢٠١١م) تعدي الفعل ولزومه في صحيح البخاري دراسة وصفية تحليلية، ماجستير الجامعة الإسلامية بغزة كلية الآداب قسم اللغة العربية.
- أبو موسى، محمد محمد (د.ت) خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ط٧، القاهرة، مصر، مكتبة وهبة.
- البخاري، عبد الله محمد بن إسماعيل (١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م) صحيح البخاري، ط٥، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، دمشق، سوريا، دار ابن كثير، دار اليمامة.

- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ط١، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
- الجناجي، حسن بن إسماعيل (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م) النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، ط١، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر، دار الطباعة المحمدية.
- الزرقاني المالكي، محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين (١٤١٧هـ–١٩٩٦م) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ط١، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
- السامرائي، فاضل (١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م) معاني النحو، ط١، عمان، الأردن، دار الفكر للطباعة والنشر.
- سلامة، إيهاب عبد الحميد عبد الصادق (٢٠١٦م) قرينة السياق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سيبويه، رسالة دكتوراة، قسم اللغة العربية، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، مصر.
- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (١٤١٢ هـ) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، ط١، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (د.ت) الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان.
- الصالحي، محمد بن يوسف (١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، ط١، تحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
- الطبري، محمد بن جرير (١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر– د عبد السند حسن يمامة، الجيزة، مصر، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
- العازمي، موسى بن راشد (١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م) اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون «دراسة محققة للسيرة النبوية» ط١، الكويت، المكتبة العامرية للإعلان والطباعة والنشر والتوزيع.
- العباد البدر، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله (د.ت) شرح الأربعين النووية، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامي.
- العباد، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) شرح حديث جبريل في تعليم الدين، ط١، الرياض، المملكة العربية السعودية، مطبعة سفير.

- العثيمين، محمد بن صالح (١٤٢١هـ) لقاء الباب المفتوح دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
- العثيمين، محمد بن صالح (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م) شرح ثلاثة الأصول،ط٤،الرياض،دار الثريا للنشر.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (١٣٧٩) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، أشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، وعليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن باز، بيروت، لبنان، دار المعرفة.
- الفيومي، أحمد بن محمد، كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، بيروت، لبنان، دار القلم.
- القحطاني، سعيد بن علي بن وهف (١٤٢٣هـ) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، ط١، الرياض، المملكة العربية السعودية وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
- القِنَّوجي، لأبي الطيب محمد صديق خان (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، قدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، صَيدَا – بَيروت، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر.
- الكرماني، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ط٢، بيروت، لبنان دار إحياء التراث العربي.
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة.
- المرصفي، سعد(١٤٣٠ هـ -٢٠٠٩ م) الجامع الصحيح للسيرة النبوية،ط١،الكويت،مكتبة ابن كثير.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م) صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م) السنن الكبرى، ط١، حققه: حسن عبد المنعم شلبي، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة.
- الهرري، محمد الأمين بن عبد الله (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ط١، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم مهدي، بيروت – لبنان، دار طوق النجاة.
- الهندي، محمد الكشميري (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م) فيض الباري على صحيح البخاري، ط١، المحقق: محمد بدر عالم الميرتهي، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية.
- الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المحقق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مصر، مكتبة القدسي.